

تجليات الهوية ورهانات المدرسة على سلوك المتعلم

غزالة بن يحيى¹، معاشو جيلاني كويبي²

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر،

ghezala.benyahia@univ-mascara.dz¹

مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر،

m.djilanikobibi@univ-mascara.dz²

تاريخ الإرسال: 08/07/2020 ؛ تاريخ القبول: 30/04/2022

The manifestations of Identity and the school's bets on the behavior of the learner

Abstract:

Identity and values education is considered as one of the main tasks of the school, In fact its results are part of the processes that are not limited to indoctrination, but works above all to ensure the consolidation of its values and their educational practice.

Through this topic, we will discuss the expected role of the school within the situation which is supposed to be, in terms of developing values that would preserve the identity of the society for the individual, such as cultural values, national identity values, citizenship, values of national belonging and positive interaction, This seeks to prepare an ideal generation that contributes to the promotion of its society, retains its components and proud to belong to it.

Keywords: identity; The school; Value; the behavior;
The learner.

الملخص:

تعتبر التربية على الهوية والقيم من المهام الرئيسية للمدرسة، وتعد مخرجاتها من العمليات التي لا تقتصر على التلقين فقط بل الأهم من كل ذلك أنها تعمل على ضمان ترسيخ قيمها وممارستها لها تربوياً. سنتطرق من خلال هذا الموضوع إلى الدور المتوقع تأديته من قبل المدرسة في حدود ما ينبغي أن يكون عليه الوضع، سواء من حيث مسألة تنمية القيم التي من شأنها أن تحافظ على هوية المجتمع لدى الفرد كالقيم الثقافية وقيم الهوية الوطنية، والمواطنة وقيم الانتماء الوطني والتفاعل الإيجابي التي تسعى في جملتها إلى إعداد جيل مثالي يساهم في ترقية مجتمعه، ويحافظ على مقوماته ويفتخر بالانتماء إليه.

الكلمات المفتاحية: الهوية؛ المدرسة؛ القيم؛ السلوك؛ المتعلم.

مقدمة:

مما لا شك فيه أن لقطاع التربية والتعليم أهمية كبيرة في أي بناء اجتماعي، خاصة وأنه يساهم في إعداد وتشكيل الأفراد والمجتمعات بالاعتماد على المؤسسة المدرسية، والتي تعتبر من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، نظراً لما تقوم به من تربية وتعليم للنشأ وذلك بتلقينهم تعاليم التنشئة السوية، إذ لا يقتصر دورها على نقل المعارف والعلوم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى بناء شخصية التلميذ بناءً متكاملًا ومتوازنًا، ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن المدرسة تلعب دوراً مهماً في عملية بناء

القيم لدى المتعلم، وتحديد السلوكيات الإيجابية لديه وتعزيز القيم بصفة عامة والوقوف على حدود هويتنا على وجه التحديد، وكل ما يندرج ضمن سياق تراثنا الوطني وشخصيتنا العربية الإسلامية كما ذكرنا، وما ينبثق عنها من دين ولغة وتاريخ وانتماء باعتبارها من بين أهم المفاهيم والركائز التي نستند عليها في تحليل مفهوم الهوية، لذلك سنحاول من خلال هذه المقاربة الوقوف على دور المدرسة في تدعيم مقومات الهوية الوطنية الجزائرية من جهة، ومن جهة ثانية تفعيلها لمختلف أنماط السلوك الإيجابي، ولبلورة كل ذلك في سياق سوسيولوجي محض وحقلي يستجيب لتداعيات ما يحدث معنا معرفيا نتساءل عن تمثيلات القيم الهوياتية التي ينبغي تثبيتها من قبل المدرسة لضمان تنميتها في نفوس النشء الجديد؟ ونتباحث معا عن الدور المتوقع منها تأديته فيما يتعلق بتدريب المتعلم على القيم الاجتماعية والتفاعل الإيجابي؟ وللإجابة عن هذا التساؤل إفتضرننا الفرضية التالية:

تعمل المدرسة على تدعيم وغرس القيم الاجتماعية ومقومات الهوية الوطنية وتساهم في بناء المتعلم قيميا وهوياتيا.

بالتالي هدفنا من خلال هذه الرؤية هو محاولة التطلع على ما تقوم به المدرسة من أدوار ووظائف والتي من أهمها تعليم القيم الإيجابية وغرسها في نفسية المتعلم، ومحاولة تفعيلها ميدانياً وتربوياً، إلى جانب

التأكيد على القيم الهويةية بشكل خاص التي ينبغي أن يكتسبها المتعلم وهو في مراحل متقدمة من حياته قصد ترسيخها وتثبيتها في سلوكه مستقبلاً.

أما عن أهمية الدراسة فتبرز من خلال تأكيدها على الدور الذي تلعبه القيم في الحياة الاجتماعية، والتي أصبحت من المسائل المطروحة بقوة سواء من حيث تنمية السلوك الإيجابي والأخلاقي والديني لها، أو من خلال مساهمتها في بناء مختلف الأطر الهويةية المشكلة لهوية وشخصية الفرد الجزائري، ما جعل المدرسة تتموقع بقوة في هذا المجال باعتبارها طاقة هيكلية لا يستهان بها نظراً لأهميتها، إذ لا يمكن إقصاء واستبعاد هذه القوة من المشاركة في التنشئة المجتمعية كيف ما كان مستواها، لما تقوم به هذه المؤسسة من أدوار تربوية تساهم في تشكيل الأجيال الصاعدة وتربية الناشئة على القيم الهويةية الوطنية والثقافية والإسلامية والسلوكيات الإيجابية، والتي تنعكس إيجاباً على حياة الفرد الشخصية وعلى علاقته بالمجتمع.

تقنيات جمع البيانات:

بحكم طبيعة الموضوع المتخصص في دراسة البناء القيمي والهوياتي للمتعلم في إطار المؤسسة المدرسية، الذي تطلب منا الاعتماد على المنهج الكيفي وإستخدام تقنية المقابلة باعتبارها ذلك التفاعل الذي يتم بين الباحث والمبحوث وإستثارة الآراء حول موضوع ما، ما يكون لدى الباحث مجموعة من المعطيات والبيانات التي تفيده لاحقاً في تحليل

وإستخلاص النتائج، كما دعمنا المقابلة بالملاحظة كتقنية ثانوية لفهم الموضوع أكثر ومعالجته ميدانياً، من خلال زيارتنا (إحدى المدارس الابتدائية) لإجراء بعض المقابلات مع أهل الاختصاص، وملاحظة الفضاء المدرسي للتأكد بين ما يفترض أن تكون عليه هذه المدرسة وبين ما هي كائنة عليه واقعياً.

الإطار المفاهيمي للدراسة: الهوية:

يمكن أن يتحدد مفهوم الهوية في السؤال الآتي: من هو ذلك الشخص أو من هي تلك الجماعة؟ وللإجابة عن ذلك يتوجب علينا أن نعود إلى بعض المرجعيات الأساسية الخاصة بالفرد ذاته، والتي تساعدنا على إعطاء فكرة واضحة عن ذلك الشخص والتعرف عليه أكثر» فعندما نريد معرفة هوية طفل ما فإن ذلك يدفعنا إلى مواجهة مجموعة من الخيارات اللانهاية الخاصة بالمعايير المحددة للهوية مثل: العمر، الجنس، المقاس، الوسط العائلي، الوسط الثقافي، الوسط المدرسي، الاتجاهات، الاهتمامات، العادات، العقد النفسية، العلاقات العاطفية» (أليكس مكشيللي، 1993: 16) كما يعرفها هابرماس على أنها « فعل إنشاء وبناء يتميز أساسا بتفاعل خلاق ومنتج في إطار النظرية والممارسة...وان لها علاقة بالثقافي، اما من جهة الجانب الأنثروبولوجي الذي تجسده الهوية الثقافية فإنها تشمل كل ما هو مشترك بين الناس من قواعد ومثل « (الناصر عبد اللاوي، 2012: 52)

ومن جهة أخرى لابد أن نأخذ العناصر الثقافية هي الأخرى بعين الاعتبار أثناء محاولتنا التعرف على هوية جماعة ما، والتي يمكن حصرها في «النظام الثقافي الذي يضم المنطلقات الثقافية والعقائد والأديان والرموز الثقافية والأيدولوجية ونظام القيم الثقافية وكذا أشكال التعبير المختلفة كالفن والأدب... إلخ» (أليكس مكشيللي، 1993: 19) انطلاقا مما سبق فإن الاعتماد على هذه العناصر المذكورة انفا، والتي قد تساعد وبشكل كبير على معرفة هوية فرد أو جماعة ما، وقد تكون كافية كذلك لتكوين تصور عام يسمح بتحديد الاختلاف الذي يميز هذه الهوية عن أي هويات أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن تعريفها « بأنها الشفرة التي يستطيع الفرد وعن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها» (كانون. جمال، 2016: 74)

كما يمكننا القول ان الهوية لا يمكن حصرها في المجال الضيق المرتبط بالفرد والجماعة التي ينتمي إليها فقط، مما قد يجعل الهوية كمفهوم تبدو ثابتة ومتحجرة، وفي هذا السياق نجد أن هابرماس «يتخذ الهوية المعيارية مقاما يفتح على كل مسارات التعلم في مقاربة جديدة، تعنى بالتعليمية المعاصرة بكل الوسائط الرمزية واللسانية والشروط الأنثروبولوجيا، وترسخ جميعها التفاعل الخلاق لكل نشاط إنساني» (الناصر عبد اللاوي، 2012: 53)

مكونات الهوية المغاربية:

تقوم الهوية المغاربية بشكل عام والهوية الجزائرية بشكل خاص على ثلاثة عوامل رئيسية وهي تلك التي تساهم في تشكيل الشخصية القومية والوطنية وتمثل فيما يلي:

«التراث الثقافي الشفهي المعروف بالتراث البربري أو الأمازيغي بأكيافه وأشكال تعبيره اللساني خاصة» (يوسف قاسمي، 2011: 371) وهنا نقصد كل مظاهر التراث الأمازيغي من طقوس الزواج والأفراح والأتراح ومظاهر اللباس وباقي أنماط الحياة الأخرى...

أما المكونات الأخرى فيتمثلان بالتحديد في: «العروبة كلغة وثقافة، والإسلام كعقيدة ونظام سلوكي حياتي وهما ركنان راسخان في الوعي الجماعي المغاربي تتأسس عليهما الهوية المغاربية وتتقاطع من خلالهما» (يوسف قاسمي، 2011: 372) فالعنصر اللغوي شيء أساسي لا غنى عنه في أي مجتمع إنساني، وبحضور اللغة تحضر الثقافة فالعلاقة بينهما متلازمة، باعتبار أن الثقافة لا يمكن أن تكون إلا في إطار مجتمع ولا وجود لأي مجتمع بدون ثقافة، وتعبر عن هذه الثقافة اللغة لأنها جزء لا يتجزأ من نسيج أي ثقافة وبالتالي:

فان اللغة «هي التعبير اللفظي عن الفكر لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات، عن طريق نظام من الرموز وأنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان غيرنا» (أحمد

بن نعمان، 1999: 69) بمعنى أن للغة علاقة بالفكر وهي انعكاس لما نفكر فيه ونصيغه في قوالب لفظية، ويمكننا ان نقول انه بفضلها تمكنت الأجيال المتتالية من نقل أساليب الحياة وتداولها عبر هذا الزمن، وهنا قد نلمس تلك العلاقة بين اللغة والثقافة والتاريخ.

ومن خلال تعريفنا السابق للثقافة يتبين لنا أن اللغة تمثل أقوى مكوناتها وأبرز صورها، فهي الوعاء الذي تحتفظ فيه الثقافة وتنقله عبر الأجيال المتعاقبة فهي من أهم الوسائل التي تستعمل للتنشئة الاجتماعية، ومن أهم الأساليب التعليمية التي تساعد على نقل التراث الثقافي للناشئة، فاللغة هي وسيلة لحفظ الثقافة «والملاحظ أن كل الأدوار والوظائف التي تقوم بها اللغة في المجتمع، نجد لها على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالثقافة فعلاقتها بالتعليم والفكر والتقاليد هي علاقة بالثقافة، لأن الفكر والتعلم والسلوك هي كلها عناصر ثقافية» (أحمد بن نعمان، 1999: 74)

لذلك يمكننا القول أن كل من الهوية والثقافة واللغة والدين هي مفاهيم متداخلة فيما بينها، وكل مفهوم يكمل الآخر بل ويشكله ويتجسد في جزئياته، وكلها مفاهيم تسير في اتجاه واحد، وتصبوا لتحقيق هدف واحد وهو صناعة شخصية الفرد من جهة، وتحديد علاقته بمجتمعه من جهة أخرى.

المدرسة:

تعرف المدرسة بوصفها « نسقا منظما من العقائد والقيم والتقاليد وأنماط التفكير والسلوك التي تتجسد في بنيتها وفي إيديولوجيتها الخاصة » (علي أسعد وطفة، 2003: 17)

إذ تعتبر المدرسة وسيلة مهمة من وسائل التربية وذلك لقيامها بعملية التنشئة الاجتماعية وتنمية السلوك الايجابي لدى المتعلمين، فهي المؤسسة الرسمية التي تهتم بتربية وتعليم الناشئة مبادئ علوم الأخلاق، والاتجاهات والقيم قصد تقويمهم واعطائهم تنشئة صالحة، حيث تلقى على عاتقها مسؤولية تربية وتعليم الأجيال فأبرز مهامها هو تلقين وترسيخ وتنمية المواقف والقيم والمفاهيم لتكون سلوكاً حياتياً للمتعلم، غير أن المسألة ليست مجرد تقديم نظري لهذه القيم من قبل القائمين بالعملية التعليمية، وإنما كيفية ترسيخها وتعزيزها في نفوس المتعلمين، وذلك بالاهتمام بتوفير مواقف عملية لممارستها وتجسيدها وفق ما يتضمنه المنهاج من مواد دراسية، وما تحمله من صبغة إيجابية لها الجدارة في إعداد أجيال صالحة « حيث يؤكد بعض المفكرين في تعريفهم للمدرسة على أهمية الدور الذي يجب أن تؤديه المدرسة في حياة الناس، فهم يركزون في هذا التوجه على ما يجب أن تكون عليه المدرسة وليس على الواقع كما هو كائن » (علي أسعد وطفة، 2003: 18) وبذلك فهي البوتقة التي يتشكل فيها الفرد، ويتشرب منها العادات والتقاليد والقيم والمعايير والمثل والمبادئ ومختلف أنماط السلوك التي تضمن له

الاندماج في المجتمع، وبالتالي يمكن وصفها بالمصنع الذي يساهم في إنتاج وإعداد أفراد فاعلين، ليصبح المجتمع بشكل أو بآخر نتاجا لما تقدمه له المدرسة من أفراد، ونوعية هؤلاء من حيث الجودة في أدائهم الاجتماعي الذي يتوقف على حسب نوعية العمل التربوي الذي قدمته المدرسة لهم، وهذا ما يجعلنا نؤكد على أن الدور الذي تؤديه المدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية ليس بالمهمة الهينة، لأن الأمر يتعلق بتنمية المجتمع وتطويره، وتزويده بأفراد مثاليين وفاعلين في مختلف التخصصات والمجالات، أو الوقوع في العكس عند فشل المدرسة على أداء هذه المهمة.

القيم:

هي تلك المحددات والمبادئ والمثل التي توجه سلوك الفرد وتضبطه وتتحكم فيه وفق ما هو متعارف عليه اجتماعيا، وعلى هذا الأساس يمكن تعريفها بأنها «شبكة متوازنة من الأفكار الجماعية داخل أي مجتمع، حيث تحكمه تصرفات الأفراد وتحدد له الأمر المرغوب فيه» (Alpe, y. 2007: 320)

وتتفرع هذه القيم إلى: قيم اجتماعية، ثقافية، أخلاقية، دينية، اقتصادية، سياسية، وطنية، هوياتية، جمالية، بيئية... الخ، والتي قد يتلقاها الطفل من أسرته ومدرسته لتشكل لديه تلك الضوابط والنواهي التي يحكم بها سلوكه حيث يقال له (افعل ذلك الأمر ولا تفعل هذا)، إذن القيم هنا هي تلك الحدود التي يأخذها الطفل من والديه داخل الأسرة ومن معلمه داخل المدرسة، والتي يتحدد على أساسها سلوكه في أي

موقف يواجهه أثناء تفاعله مع المحيطين به فيختار السلوك السوي الذي يعود بالخير عليه وعلى مجتمعه.

السلوك:

« هو النشاط الذي يعبر عنه الفرد خلال علاقته بمن حوله...، وخلف كل سلوك دافع فنحن لا نقوم بأي سلوك إلا إذا كان هناك شيء يحركنا ويدفعنا » (سليمان عبد الواحد إبراهيم، 2014: 18) يشير هذا التعريف إلى أن السلوك، هو كل فعل يصدر عن الفرد نتيجة تلقيه تنبيهها أو حافزا أو حاجة أو نقصا ما حسب ما يفسره أصحاب الاتجاه النفسي، والقيام بهذا السلوك هو بهدف تحقيق هدف ما أو غاية معينة، ولكن ليس المهم في هذا الموضوع الأسباب المؤدية إلى القيام بالفعل السلوكي، وإنما ما يهمنا حسب دراستنا هو كيفية تعديل السلوك وتقويمه في حالة الاعوجاج والخروج عن المألوف، هذه المهمة التي تقع على عاتق بعض المؤسسات التربوية والتي في مقدمتها المدرسة، أين تقوم بتابعة سلوك الطفل وتنميته وضبطه وتعزيزه للقيام بما هو إيجابي، من خلال تحديد الميزان القيمي الذي يحدد للفرد ما هو مقبول وما هو مرفوض اجتماعيا، وذلك من خلال السير على خطة منهجية ومحكمة وواضحة الأهداف، تلك التي تحدد ملمح المتعلم النهائي لبلوغ مختلف التغيرات التي ينتظر حدوثها على المستوى السلوكي.

المتعلم:

هو كل طفل يتلقى تعليمه من خلال إنخراطه في مدرسة ابتدائية، أين يكتسب جملة من المعارف والمعطيات والقيم في مجملها من بينها القيم الهويةتية، غير أنه لا يمكننا أن نقف عند هذا الحد من التعريف، إذ لا بد أن نتخطى المفهوم التقليدي للمتعلم بوصفه طرف سلبي متلقي للمعلومة يحفظ ويسترجع ويعيد إرجاع نفس المعلومات إلى معلمه، ونتقل إلى ذلك التعريف الحديث الذي يصف المتعلم بإجابيته ومشاركته الفعالة في العملية التعليمية، يشارك في صناعة المعرفة يسأل ويبحث ويحلل ويقارن ويوظف قدراته المعرفية ومواهبه في المواقف التعليمية، وذلك ما يضمن وصوله إلى تحقيق الأهداف المرجوة فيما يتعلق بترسيخ السلوك الذي يجسد المفهوم الهويةتي والقيمي لديه.

دور المدرسة في تنشئة الأطفال على القيم:

يمكن التصدي أمام الغزو والهيمنة التكنولوجية التي أصبحت مفروضة علينا نحن الشعوب العربية، من خلال التأكيد على الدور الذي تلعبه مؤسسات التنشئة الاجتماعية حيث «تعمل التنشئة الاجتماعية على إدخال العناصر الاجتماعية والثقافية لمخطط الفرد ودمجها في شخصيته تحت تأثير تجاربه مع المتعاملين الاجتماعيين» (كركوش، ف، مسعودي. ز، 2016: 185)

ومنه نعتبر أن عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تنشط في مجال نقل الهوية وعناصرها، حيث تتحول الهوية في هذه الحالة إلى

محتوى للتنشئة الاجتماعية، وقد تنوعت الطرق التربوية التي يتم من خلالها تشكيل هوية الفرد، حيث تلعب الملاحظة في هذا المقام دوراً بارزاً في اكتساب الفرد لعناصر الهوية ومكوناتها، ومنه فإن بناء الهوية يمر بثلاث مراحل وهي كالآتي: «تبدأ المرحلة الأولى بتقليد الآخر الذي يكون ذو معنى بالنسبة للفرد ليصبح لاحقاً مرجعاً، ثانياً تقمص هذه المرجعيات والتفاعل مع البيئة الاجتماعية ولا يتم ذلك إلا بتقبل الفرد لحالة وضع نفسه مكان الآخر، وأخيراً يتم التعرف على الذات من خلال أفراد الجماعة» (كركوش.ف، مسعودي. ز، 2016: 185)

دور المدرسة في نشر الثقافة الوطنية والتراث:

ترتبط الهوية بعلاقة متينة مع الثقافة إذ لا وجود لهوية بدون ثقافة ولا العكس لأنهما يمثلان الجوهر والحجر الأساسي لهذه العلاقة التي تقتضي انه «يتعذر الفصل بينهما، حيث أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة، فلا هوية بدون منظور ثقافي» (كانون. جمال، 2016: 80)

وتلعب المدرسة في هذا الشأن دوراً بارزاً باعتبارها من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الطفل في مسار حياته، فهي الفضاء الحي الذي يستقي منه المتعلم كل المتطلبات الحياتية التي تسمح له بالاندماج في المجتمع، فيتعلم ويكتسب ويتدرب ويطبق حتى يعيد الانتاج، والأهم من هذا كله أن تعمل المدرسة على تعريف الطفل بذاته وبهويته الفردية والاجتماعية، وذلك بقيامها بعملية نقل التراث الثقافي عبر الأجيال، من خلال اعتمادها على المناهج الدراسية التي تعكس ثقافة هذا المجتمع،

بالإضافة إلى تفعيل مختلف المواقف التعليمية التي ينبغي أن يتم تجسيدها داخل محيط المدرسة من قبل الفاعلين التربويين، حتى ترسخ لديهم النماذج الثقافية والتراثية المتضمنة في الكتب المدرسية، وذلك ما صرح به بعض المعلمين فيما يتعلق بمسألة التجسيد، بقول أحد المبحوثين، (أن محتوى بعض المناهج مربوط بالواقع المعاش داخل المجتمع الجزائري من حيث الانتماء الوطني، ومبادئ الإسلامية التي تشكل جزء من الهوية والتي تغرس لدى المتعلم كقيم أخلاقية ووطنية) وبالتالي تتحول في حالة ما إذا ترسخت لديه إلى سلوك يعيد إنتاجه في حياته العامة، فيحافظ على التراث ويعتز بثقافته أمام الآخر الذي يختلف عنه، غير أنه لا يمكن لأي نظام تعليمي لدولة ما أن يباشر في تحقيق هذا الهدف دون أن تكون هنالك سياسة تعليمية واضحة، تلك التي تنبع من جذور ذلك المجتمع وترجع على ثقافته وتراثه وتركيبته وأسسها ومتطلباته وإمكانياته المتاحة، وهذا ما يعتبر تحديا آخر قد يواجه الثقافة العربية وهو عدم وجود نظرية في التعليم، والأسوء من ذلك هو الاستعانة بنظام تعليمي غربي غريب عن الثقافة العربية، وبالتالي لا يمكن السماح بالانسياق التام خلف ثقافة الغير بل الحفاظ على ثقافتنا ومقومات هويتنا، وفي نفس الوقت الأخذ من الآخر ما ينفعنا ويتناسب مع مبادئنا وقيمتنا التي لا يخالفها « بحيث يسهل التواصل بين الشعوب إذا ما تفتنوا بأنهم إرادة قادرة على تخطي كل الصعوبات المعقدة التي فرضها العصر » (الناصر عبد اللاوي، 2012: 174)

المدرسة ورهان تنمية قيم الهوية الوطنية:

من أهم الوظائف التي يجب أن تؤديها المدرسة في هذا المجال هو تحقيق انفتاح المتعلم على الغير، فبعد خروجه من جو الأسرة أين يكون متمركزاً حول ذاته، ومعتدلاً بدرجة كبيرة على غيره من أفراد أسرته إلى جو آخر مغاير تماماً للنمط الأول، أين يتعايش مع أفراد آخرين من نفس الفئة العمرية تقريباً وتحت سلطة المعلم التي تختلف عن سلطة الأم العاطفية، لتتكون لديه مجموعة من المفاهيم حول الحقوق والواجبات وتعلم المسؤولية، واكتساب أنماط التفاعل الإيجابي داخل القسم و خارجه، بمعنى آخر فإن أجواء التمدن تعمل على تمرير جملة من القيم الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والوطنية والهوياتية، وغيرها من القيم التي يتوجب على المدرسة تنميتها لدى المتعلم، وذلك بالإعتماد على المعلم بالدرجة الأولى باعتباره أحد عناصر العملية التعليمية يساهم في تصميم الدرس ويسعى إلى تبسيطه وتوضيحه للمتعلم، وهذا ما صرحت به إحدى المبحوثات، (معلمة خبرة 06 سنوات) بقولها (لابد على المعلم أن يعمل جاهداً على ربط كل درس بالحياة اليومية، وضرب أمثلة من الواقع المعاش) حتى يضمن ذلك ترسخ المفهوم أكثر، كتنمية الحس الجماعي لديه من خلال توظيف المتعلمين في بعض الأعمال التعاونية كتجسيدهم لمفهوم العمل التطوعي، كذلك تعمل على تنمية قيمة احترام القوانين لديه وعدم التعدي على الحقوق وآداء الواجبات، ونفس الشيء ينطبق على قيمة تحمل المسؤولية الشخصية والمسؤولية الاجتماعية

والمحافظة على الممتلكات المدرسية والممتلكات العامة المتواجدة خارج المدرسة، كل ذلك كفيل من ان يجعل منه انساناً متقبلاً لتعلم قيمة التعامل والتواصل مع الآخر، وعدم التعدي عليه بتنمية قيم التعايش والتسامح مع الغير وترسيخ مفاهيم حب الوطن والدفاع عنه وحمايته من كل ما يهدده، هي اذن كلها قيم تزيد من وطنية الطفل وتنتج لنا مواطنا صالحا يعتز بهويته الوطنية التي يبقى متمسكاً بها دائماً وابدأً.

إحياء الذاكرة الجماعية:

لا تقتصر هذه الذاكرة على فرد واحد فحسب، بل هي صفة جماعية تشارك فيها مجموعة من الأفراد الذين يتذكرونها معا في الوقت الحاضر في إطار اجتماعي وثقافي معين، كالاحتفال بالأيام الوطنية على سبيل المثال، وهذا ما لا يجب أن تغفله المدرسة من خلال إشراكها للمتعلمين في المناسبات و الاحتفالات الوطنية كيوم العلم، عيد الاستقلال، الاحتفال بالسنة الأمازيغية، كل هذه المناسبات تُعرف المتعلم بإنجازات وطنه والانتصارات الوطنية التي حققها عبر التاريخ، وهذا ما وجدناه حاضرا بقوة من خلال تصريحات المبحوثين في هذا المجال الخاص بإحياء الذاكرة الجماعية لدى المتعلمين، وذلك ما يعكسه لنا التصريح الآتي لإحدى المعلمات، بعد سؤالنا لها عن مدى إستغلال المناسبات والأعياد الوطنية لترسيخ السلوك الوطني والهوياتي لدى المتعلم، فكانت الإجابة أنها (تعمل دائما على التذكير بالأحداث الوطنية، والمناسبات الدينية، والحديث عن أهمية الوطن وعن تضحياته) وما يدعم ذاكرة المتعلم

بشكل أكبر هو ما لاحظناها في جل الأقسام التي قمنا بزيارتها والتي طبعت جذرائها بلافتات وصور تعرف المتعلم بهويته وعاداته وتقاليده، نذكر منها على سبيل المثال: صور عن المولد النبوي الشريف مثلا وأشكال الإحتفال به، وصور عن عيد رأس السنة الأمازيغية، صور لمجاهدي وأبطال الثورة التحريرية، وكل ما يعبر عن الذاكرة التاريخية والوطنية، وفي هذا المجال « قد ربط عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالباوش (Maurice Halbwachs) (1877-1945) في دراسته حول الذاكرة الجماعية الذكريات الشخصية للفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه، واعتبر أن الإطار الاجتماعي وما يحتويه من مكونات ثقافية يعمل على بناء نسق جمعي يجعل الخبرات الفردية قابلة للتذكر » (عبد الغاني عماد، 2017: 91) هذا من الجانب الوطني. أما من حيث الجانب الديني فإننا نجد ان المدرسة تقوم بإحياء بعض المناسبات الدينية، التي ترسخت عبر الزمان آخذة بصمتها الجمعية تاركة آثارها على عقول البشر وممارساتهم، في شكل ما يعرف بـ «التدين» مما جعله منتقلاً بين العصور والأجيال، ومن هذه المناسبات مثلا إحياء المولد النبوي الشريف، او إحياء يوم عاشوراء، وغيرها من المناسبات ذات الطابع الديني التي ينبغي على المدرسة كمؤسسة للتنشئة أن تعمل على تجسيدها، لتذكير المتعلم بها طيلة فترة تدرسه حتى تبقى حية لديه حتى بعد خروجه من المدرسة، وذلك ما نجده قد يتوافق مع تصريح إحدى

المعلومات (خبرة 08 سنوات) بقولها (أن كل ماهو ملموس يبقى راسخاً في الأذهان) ومن حيث التناول السوسولوجي كشفت نفس الدراسة للعالم الفرنسي السابق (موريس هالبواش) «كيف أن الأفراد في تجديدهم للماضي يجعلون أحداثه ذات طابع مرجعي، بحيث لا تعود متمركزة داخل الفرد بل تصبح ملكاً عاماً يملك زمانه ومكانه داخل المنظومة الاجتماعية والثقافية، وهنا تتجلى الذاكرة الجماعية حسب هالبواش في تأسيس هوية المجتمع وضمّان سيرورته» (عبد الغاني عماد، 2017: 91) لذا فتفعيل الذاكرة الجماعية في الوسط المدرسي يعد ظاهرة تربوية قيمة لا بد من الإكثار منها، لما لذلك من أهمية كبيرة على العملية التعليمية وما ينجر عنها من نتائج إيجابية على عقل المتعلم وتعلمه، ولعلّ ان الجانب الأكثر أهمية في حركيتها هو تأثيرها الإيجابي على سلوكه، وذلك ما تلخصه لنا المقولة الأخيرة لأحدى المبحوثات بقولها (أن للأعياد والمناسبات الوطنية والدينية وقع كبير على نفسية المتعلم، ويتوجب على المعلم أن لا يفوتها ويستغلها دوماً لتثبيت المكاسب لدى هذا المتعلم).

تنمية قيم الانتماء:

يعرف الانتماء على انه مفهوماً يتضمن ذلك الإحساس الذي يشعر به الفرد لكونه جزءاً من جماعة ما (كالأسرة، القبيلة، الطائفة، العشيرة، الحزب، الجهة، التنظيم)، وبشكل عنده ذلك الرابط الاجتماعي الذي يجمعه بهؤلاء الأفراد كرابطة الدم والقرباة والدين والأعراف و الوطن و

الأرض والتاريخ والحضارة، والثقافة والتي تعمل فيما بينها كمفاهيم تشكل لهذا الفرد ذلك الشعور القوي بالانتماء إلى تلك الجماعة ما يحقق اندماجه فيها، ويسعى إلى تطلعاتها ويتقيد بأعرافها وعاداتها والإيمان بمبادئها ومفاهيمها وقيمتها ومعاييرها، مما يجعله يحظى بالقبول لأنه قد يتلقى الرفض الاجتماعي كذلك خاصة في حالة حدوث العكس أي عدم التقيد بمعايير هذه الجماعة.

واعتبارا لأن الإنسان اجتماعيا بطبعه فلا يمكن له أن يفصل نفسه عن المجتمع، مثلما يستدل على ذلك الباحث الاجتماعي رياض زكي قاسم قائلا «فأنت في أي مجتمع من المجتمعات ترى نفسك متميلاً إلى جماعة عائلية أو قبلية أو دينية أو طائفية أو مناطقية أو جغرافية أو جهوية (حضرية - ريفية) معينة» (رياض زكي قاسم، 2013: 318). وبالتالي فإن تعزيز قيم الانتماء الوطني لدى الطفل قد يكون من خلال المؤسسة المدرسية التي يتوجب عليها تنمية ذلك الشعور لدى المتعلم الذي يربطه بوطنه، فيترسخ لديه الاعتزاز بهويته الوطنية والافتخار بالمعالم التاريخية التي يزرع بها وطنه، واحترام رموز هذا الوطن والمحافظة عليه وعلى ما يتوفر عليه من ممتلكات مادية ومعنوية والدفاع عنها وحمايتها من كل خطر، ميدانيا قد يتجسد ذلك على حسب تعبير أحد الباحثين (معلم 04 سنوات خبرة) «أنه يسعى إلى توعية التلاميذ وتحسيسهم يومياً بأهمية الإمثال للعلم والنشيد الوطنيين، لأن ذلك يعزز قيمة الانتماء لهذه الوطن»، وذهب مباحث آخر (معلم 07 سنوات خبرة) إلى القول (أنه

يقوم بسرد القصص التاريخية لتنمية قيمة الانتماء لتاريخ الوطن
وحضارته الممتدة عبر التاريخ)

من ناحية أخرى تعمل المدرسة على تأكيد مسألة الانتماء الديني
لدى المتعلم كونها من المسائل المهمة في حياة الانسان وذلك باعتبار أن
الدين «يفرض على مؤمنيه الذين يعتبرهم رعاياه سلسلة من المعتقدات
ذات الطابع الروحاني وتؤدي هذه المعتقدات دور الموجه بالنسبة للفرد
في الإطار الاجتماعي والإنساني... لأنها ثقافة بوصفها نسقاً متكاملًا من
القيم والعادات والطقوس والشعائر وانها طريقة في ممارسة الحياة و بناء
المجتمع وإعادة إنتاجه» (عبد الغاني عماد، 2017: 81) وهذا ما
يتوجب أخذه في المدرسة من خلال تزويد المتعلم بمختلف القيم الدينية
والمبادئ الإسلامية السمحة، بكل ما تنطوي عليه من عقيدة وعبادة
ومعاملات، وغيرها من الصفات التي ينبغي على الفرد المسلم أن يتصف
بها، فيتكون لديه ذلك الاعتزاز بالانتماء إلى الدين الإسلامي والافتخار
بالأمة الإسلامية وتعاليمها، وفي ذات الوقت الدفاع عن هاته المكتسبات
وحمايتها أمام الآخر الذي قد يسيئ لهذا الدين بأي شكل من الأشكال،
كما تجسد لنا هذا البعد الديني ميدانيا، في كل ما حملته المدرسة من
شعارات وآيات دينية، تمت كتابتها بخط واضح على جدران الأقسام
والساحة وفي كل مكان، فكل أية من الآيات المكتوبة إلا وتتضمن قيمة
دينية معينة: كطاعة الله وطلب العلم والرفقة بالحيوان... إلخ، من أجل

إشعار المتعلم بإتتمائه لهذا الدين وترسيخ وجوب إحترامه والتعامل به
وعدم تجاهله.

المدرسة وتنمية السلوك الإيجابي:

إن أكثر عمل يمكن أن نطالب به المدرسة خاصة في الوقت الحالي وفي ظل ما يشهده السلوك الانساني من تحولات نتيجة دخول عدة مفاهيم جلبتها لنا الثورة التكنولوجية ونظام العولمة الذي باعد بيننا وبين قيمنا العربية والإسلامية، هو أن تقوم المؤسسة المدرسية بترسيخ وتنمية القيم والسلوكيات الإيجابية لدى الافراد، وهي التي تعكس لنا التفاعل الاجتماعي الإيجابي والذي يُعرف على أنه « جملة المهارات الاجتماعية التي تتمثل في قدرة المتعلم على المبادرة بالتفاعل مع الآخرين، والتعبير عن المشاعر الإيجابية وضبط انفعالاته في مواقف التفاعل الاجتماعي، إلى جانب توافر المهارات الشخصية في إقامة علاقات إيجابية بناءة » (سليمان عبد الواحد إبراهيم، 2014: 130، 129) من خلال بلورة جملة من القيم الإيجابية والتي تحمل في طياتها شقين أحدهما اجتماعي والآخر ديني ومن بين هذه القيم نذكر تلك التي تعمل على نشر ثقافة التسامح، وحب الخير والصلح والحوار واحترام رأي الآخر وعدم التمييز بين الناس، وكل هاته الصفات لا بد أن يتعلمها المتعلم في المدرسة ليطبقها ويتفاعل بها مع كل من يحيط به سواء كان هؤلاء هم الآباء او الإخوة او الأقارب، وحتى الأقران والمدرسين والأشخاص الذين يتفاعل معهم بشكل مباشر أو غير مباشر، مما يكسبه «عادات وسلوكيات مقبولة

اجتماعياً حيث يتدرب عليها المتعلم إلى غاية إتقانها والتمكن منها، من خلال التفاعل الاجتماعي الذي يعد بمثابة مشاركة بين المتعلمين في مواقف الحياة اليومية « (سليمان عبد الواحد إبراهيم، 2014: 131) إذ إستوقفنا تصريح إحدى المبحوثات (معلمة 10 سنوات خبرة) عند سؤالنا لها عن مجال تنمية السلوك لدى المتعلم، فكانت إجابتها (أنه من أهم المواد التي ينبغي إدراجها ضمن المناهج المدرسية مادة التنمية البشرية، وصرحت بأنها قد طالبت المفتش بهذه النقطة راجية منه أن يوصل إنشغالها إلى الجهات المسؤولة، لكن دون فائدة، كما تحدثت مطولاً في هذا المجال الخاص بالتنمية، قائلة أنه السبب الرئيسي في تقدم المجتمعات الغربية، وأنه لا بد أن نركز على الجانب السلوكي الإيجابي والفعال للمتعليم حتى نساهم في صناعة مخرجات فعالة) وهو ما ينعكس إيجاباً على تشكيل وبناء شخصيتهم فيصبح الإنسان أكثر مرونة وفاعلية وإنتاجية في مجتمعه، ومن أمثلة السلوكيات الإيجابية التي يمكن للمدرسة تجسيدها: (الإيثار والتضحية والعطاء والمساندة على العمل الخيري) فبالنسبة للإيثار مثلاً والذي « يُعد من أرقى أنماط السلوك الاجتماعي الإيجابي، و يمثل غالباً السلوك الخيري الخالص الذي ينبع من داخل الفرد ويقوم به تطوعياً ولا ينتظر منه مقابل، فهو يعني التضحية والعطاء الذي لا يتوقع من ورائه منفعة، وهو يتمثل في القول الشائع (لا شكر على واجب)» (سليمان عبد الواحد إبراهيم، 2014: 26، 31) ان تجسيد ثقافة العمل الخيري والتطوعي وبذل الجهد الكبير لترسيخ هذه

القيمة في نفوس المتعلمين تصبح مع الوقت سلوكاً حياتياً يعيد المتعلمين تفعيله في حياتهم اليومية خارج المدرسة من خلال المساهمة في الأعمال الخيرية والمساندة الاجتماعية مع أفراد المجتمع .

أما السلوك الإيجابي الآخر الذي لا بد للمدرسة من أن تعمل على تنميته لدى المتعلمين فهو المحافظة على نظافة المدرسة، من خلال ترسيخ قيم النظافة لدى المتعلمين والحرص على تفعيلها داخل المحيط المدرسي سواء كان ذلك في القسم، أو في فناء الساحة، أو المطعم المدرسي، وحتى المحيط الخارجي القريب من المدرسة، وذلك ما لاحظناه وجوده ميدانياً من خلال حرص المعلمين وحثهم الدائم على نظافة المدرسة ومحيطها إضافة إلى تلك الكتابات الجدارية التي أينما إلتفت تجدها تبث رسالتها البيئية، وبهكذا أعمال تحافظ المؤسسة التربوية على نظافتها، حيث يعتبر سلوكها هذا من أرقى السلوكيات الإيجابية التي تضمن لنا جيلاً مثالياً يساهم في نظافة المجتمع ويعمل على ترقيته، ورسم أحسن صورة عنه.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج التي إستطعنا من خلالها الإجابة عن الفرضية التي وضعناها محل الدراسة والتي افترضنا فيها أن المدرسة جاءت لتقوم بدورها في ترسيخ القيم الاجتماعية والهوياتية بشكل خاص في ذهنية المتعلم وسلوكه، ومن جملة النتائج التي أكدت لنا هذا الافتراض مايلي:

* يسعى المعلم بإعتباره أحد عناصر العملية التربوية التي تعتمد عليها المدرسة في تنمية القيم عامة بما فيها القيم الهوية، إلى محاولة منه على تفعيل القيم الهوية على أرض الواقع، وذلك من خلال إحياء المناسبات والاعياد الوطنية، التي تساهم حسب تصريحات المعلمين في غرس القيم المعبرة عن هوية المتعلم، تاركة آثارها الإيجابية على نفسيتهم وعلى وطنيتهم وهويتهم.

* يسعى المعلم إلى تنمية قيمة الانتماء لدى المتعلمين من خلال الحرص على إحترام رموز السيادة الوطنية، وزرع الشعور بفخر الانتماء للتاريخ الوطني العريق.

* يبدو توجه المدرسة واضحا من حيث تركيزها على مسألة تفعيل القيم الهوية لدى المتعلم، وعدم الإكتفاء بما يحمله الكتاب المدرسي من تعاريف ومعلومات، بل السعي إلى تجسيدها واقعا وذلك لضمان إعادة إنتاجها على مستوى السلوك.

* تعمل المدرسة على نقل مجموعة من القيم تلك التي تشجع على التحلي بالسلوك الأخلاقي والديني والمدني والحضاري والوطني، وذلك من خلال تجسيد هذه المفاهيم في بعض المواقف الحية والملموسة، لخلق ذلك التفاعل الإيجابي الذي يجعل المفهوم القيمي يترسخ في ذهن المتعلم ليكتسبه كسلوك يعيد إنتاجه في واقعه وحياته اليومية.

* رغم كل ما يبذله القائمون بالعملية التعليمية والتربوية من جهود لترسيخ السلوك القيمي، إلى أنه هناك بعض النقائص التي يعاني منها

الميدان التربوي والتي تعيق الوصول إلى الأهداف على أكمل صورة، وأبرز هذه النقائص هو غياب التكامل الجدي بين المؤسسة المدرسية والمؤسسات الاجتماعية الأخرى.

خاتمة:

ما يسعنا في الأخير الا ان نعترف علانية بأنه يمكن لنا النظر إلى المدرسة على أنها بناء اجتماعيا يتكون من مجموعة من التفاعلات الحاصلة بين أفراد المجتمع الواحد، وأنه يمكن لها ان تؤثر عن طريق أساليب التنشئة الاجتماعية في تشكيل النماذج السلوكية والمعرفية المرغوب فيها اجتماعيا، كما قد تعمل على حفظ الواقع الاجتماعي وإعادة إنتاجه إلى قوة فاعلة من خلال بلورة السلوكيات القيمية بصفة عامة والتي تضمن للمتعلم التفاعل الإيجابي مع الأفراد الآخرين، إضافة إلى بعض المفاهيم المهمة التي لا بد أن يحرص النظام التربوي على بثها في المناهج والكتب المدرسية، وتدعيم هذه البرامج والكتب بأنشطة تعليمية تساعد على ترسيخ القيم الهوية والثقافية والوطنية والدينية بشكل خاص، وذلك من خلال تحقيق التفاعل الإيجابي بين الأطراف الثلاثة المتمثلة في المعلم والمتعلم والمنهاج الدراسي، بهدف إكساب التلميذ ثقافة دينية واجتماعية وحياتية تمكنه من التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه، من حيث عاداته ومعتقداته وقيمه ومعايير الاجتماعية، التي تضمن له تحقيق التعاون بين مختلف الفاعلين التربويين سواء تعلق الأمر بالمعلم او المدير او الإداريين، لان المنهاج الدراسي لوحده غير كفيلا لترسيخ

السلوك الهوياتي والوطني لدى المتعلم إن لم تتكاتف حول ذلك مختلف
الجهود والأيدي لبلوغ هذا الهدف.
قائمة المراجع:

1. بن نعمان أحمد، (1996). الهوية الوطنية حقائق ومغالطات، الجزائر: دار الأمة.
2. وطفة علي أسعد والشهاب علي جاسم، (2003). علم الاجتماع المدرسي: بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، الطبعة 01، بيروت، تم الاسترجاع من الرابط: <https://sh-books.blogspot.com/2020/04/school-sociology.html>
3. كانون جمال، ماي (2016). «الهوية مقارنة نظرية مفاهيمية». مجلة تطوير، جامعة سعيدة، العدد الثالث، ص 69. ص 92.
4. كركوش فتيحة، مسعودي زهية، جانفي (2016). «إشكالية الهوية على ضوء التناولات النظرية: رؤية تحليلية نقدية». مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، العدد، 06، ص 180. ص 192.
5. ميكشيللي أليكس، (1993). ت: علي أسعد وطف، الهوية، الطبعة 01. دار الوسيم للطباعة والنشر.
6. سليمان عبد الواحد إبراهيم، (2014). السلوك الاجتماعي الإيجابي أساليب تعلمه وتنميته، الطبعة 01. الأردن: دار الوراق للنشر والتوزيع، تم الاسترجاع من الرابط: https://kitab.firmabikes.ru/pdf-lslwk_ljtm_y_lyjby_16974.html

7. عبد اللاوي الناصر ، (2012). الهوية والتواصلية في تفكير هابرماس، الطبعة 01. بيروت: دار الفارابي للنشر والتوزيع.
8. عبد الغاني عماد، (2017). سوسيولوجيا الهوية-جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، الطبعة 01. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
9. قاسمي يوسف، (ديسمبر 2011). «الهوية المغاربية وتحدي العولمة بين النفي والتحدي»، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 2، ص364. ص388، تم الاسترجاع من الرابط:
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/16292>
10. رياض زكي قاسم، (2013) الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، الطبعة 01. بيروت: مركز الوحدة والدراسات العربية.
11. Alpe, Yves, (2007) , **lexique de sociologie**. D'Edition, paris

الناصرية